⑤ القسم الخامس

نحو تطوير منظومة التدريس

- تمهيد.
- مخرجات منظومة التدريس، فى ضوء العلاقات الإنسانية الشائكة.
- تصميم منظومة التفاعل الصفى للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، فى ضوء متطلبات مجتمع المعرفة.
- خاتمة.

تمهيد:

يمثل التدريس قلب العملية التعليمية التعلمية؛ لذلك لا نغالى القول إذا قلنا أن التدريس هو الحياة ذاتها؛ لأنه يقوم على علاقات إنسانية تعتمد على مدى التفاعل بين المدرس والتلميذ من جهة، وبينها وبين: المادة الدراسية، والمناخ التربوى داخل المدرسة وخارجها، وأدوات التعليم والتعلم – وخاصة التقنية – المتوافرة فى المدرسة، والامكانات البشرية والمادية التى لها دورًا فى عملية التدريس ذاتها.

إذًا، التدريس مجال خصب تتفاعل من خلاله أطراف عديدة، لتؤكد الدور الرائع الذى يمكن أن يقوم به الإنسان.

ولكن، كمال الإنسان فى حكم المستحيل، ولا يمكن تحقيقه أبدًا، وأقصى ما يمكن أن يقوم به الإنسان هو الاجتهاد من أجل تحقيق التفوق والتميز، ولذلك من الصعب بمكان إطلاق طموح الإنسان على أعنته؛ لأن ذلك قد يدمر الإنسان ذاته.

تأسيسًا على ما تقدم، نقول أن منظومة التدريس التى تعتمد على الإنسان تعانى من أزمات وأزمات؛ لأن الإنسان – فى عصرنا الحالى – مازوم بدرجة كبيرة، مهما كانت الإمكانات التى يمتلكها، ومعها كان حجم الأدوات والوسائل المتوافرة لديه.

إذا أضفنا إلى ما تقدم، أننا نعيش فى مجتمع المعرفة الذى يتطلب أن يكون لدى الفرد مواصفات خاصة تساعده على مواكبة متطلبات هذا المجتمع، يكون من المهم معرفة كيفية إدارة أزمة منظومة التدريس؛ وذلك ما يتحقق فى الحديث التالى من خلال التطرق لبعض جوانب منظومة التدريس.

الفصل العشرون

مخرجات منظومة التدريس فى ضوء العلاقات الإنسانية الشائكة

- تمهيد
- التدريس
- منظومة التدريس.
- مخرجات منظومة التدريس فى ضوء العلاقات الإنسانية الشائكة.
- خاتمة

تمهيد:

لا نغالى القول، إذا إعتبرنا التدريس بمثابة لقاء جميل ورائع مع أسمى ما فى الحياة، وأعنى الجانب الإنسانى للفرد. فالتدريس لقاء يجمع بين المعلم والمتعلم، حيث يقوم المعلم بتقديم المعرفة، أو يطلب من المتعلم البحث فى المعرفة، فذلك يتم من خلال إحساسه بالمسئولية الكاملة عن تعليم المتعلم، وبأنه يسهم فى صناعة هذا المتعلم ليكون فردًا نافعًا لنفسه، ولمجتمعه. ومن ناحية المتعلم، عندما يتفاعل مع ما يقوله المعلم، أو يستجيب لتوجيهاته، التى على أساسها يكتسب جوانب معرفية، لم يكن على دراية بها من قبل، فإنه يشعر إنه تعلم شيئا جديدًا، يضيفه إلى رصيد خبراته السابقة. وتبلغ متعة المتعلم ذروتها، إذا أدرك أن ما يتعلمه، يمكن أن يفيده فى حياته العملية.

التدريس عملية رائعة ممتعة، لأنها تجمع أحيانا بين النقيضين معًا. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تجمع عملية التدريس بين البهجة والسرور، والألم والمعاناة، من جانب كل من المعلم والمتعلم، على السواء. فالبهجة والسرور يتولدان عند المعلم، لشعوره الداخلى، بأنه أعطى من ذاته من أجل خير وصالح المتعلمين. أيضًا، يتولدان عند المتعلم، لإحساسه بأنه استطاع فك ألغاز وطلاسم أشياء بعينها، واستطاع أن يعرف كينونتها، وأن يسيطر عليها بالكامل.

أما الألم والمعاناة بالنسبة للمعلم، فيتجليان بصورة واضحة فى الجهد العظيم الذى يبذله فى إعداد الدروس، وفى تعليمها من خلال أساليب بعينها، وعن طريق أدوات وتقنيات مناسبة، وأيضًا فى تقويم محصلة ومخرجات الأداءات التى يقوم بها، سواء أكان ذلك داخل الفصل أم خارجه، بهدف الوقوف على ما إكتسبه المتعلم تحصيليًا وسلوكيًا ووجدانيًا ومهاريًا.. إلخ. وعلى الجانب الآخر، يتمثل الألم والمعاناة بالنسبة للمتعلم فى الجهد الجهيد الذى يبذله، سواء أكان ذلك جسمانيًا، أم ذهنيًا، أم إنفعاليًا، أم وجدانيًا.. إلخ. فالقضية ليست مجرد سماع ما يقوله المعلم، أو الإستجابة لتعليماته، وإنما ما يصاحب ذلك، أو ما يعقبه من ممارسات، قد تكون أحيانًا صعبة جدًا بالنسبة للمتعلم، وعليه تحقيقها لنيل حظه من النجاح العلمى والاجتماعى، ومن الفلاح المعنوى والأدبى.

أولاً: التدريس:

بادئ ذى بدء نقول أن التعليم هو أحد الأهداف التى نحاول تحقيقها من خلال عملية التدريس.

إذن، فالتعليم هو أحد المردودات المهمة للتدريس، حيث يمكن من خلال التعليم، إعطاء بعض المعلومات، وإكساب بعض المعارف.

والسؤال : **ما المقصود بعملية التدريس؟**

قد يعتقد البعض خطئًا أن عملية التدريس بمثابة العملية التى من خلالها يتم نقل المعلومات من ذهن المدرس إلى أدمغة التلاميذ الفارغة ليستوعبونها ويحصلونها.

ان الاعتقاد الخاطىء السابق يجعل من المدرس مصدراً أساسيا للمعرفة، ويجعل من التلميذ مستقبلاً سلبيا لها، وبذا يكون الهدف الأساسى من عملية التدريس هو الناحية الذهنية فقط، دون باقى النواحى الأخرى.

إن عملية التدريس هى عملية حياة وتفاهم كاملين بين المدرس والتلميذ من جهة، وبينهما وبين المعرفة بمصادرها المختلفة من جهة أخرى.

قلنا أن عملية التدريس عملية حياة وتفاعل بين المدرس والتلميذ من خلال مصادر المعرفة المختلفة، وذلك يجعل هذه العملية تمتد إلى مصادر أرحب وأشمل من المادة الدراسية المقررة فقط، كما يجعلها لا تقتصر فقط على قاعات الدروس، وإنما تشمل أيضًا الفناء والمعمل وحجرات الأنشطة المختلفة، وقد يتسع تأثيرها ليتضمن جميع مصادر التعلم فى البيئة الخارجية.

لقد قلنا أن عملية التدريس عملية حياة وتفاعل، لذا فإن الخبرة التى يتعلمها التلميذ أو يمر بها فى المواقف التدريسية ستظل باقية فى نفسه، يسترجعها، وقتما يشاء أو كلما إحتاج إليها ليسترشد بها فى بعض المواقف.

تاسيسًا على ما تقدم، يكون للتلميذ دوراً مؤثراً فى عملية التدريس التفاعلى. أيضًا فى هذه العملية، يتطلب عمل المدرس السيطرة الكاملة على جانبين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وهما :

- التمكن من المادة العلمية.
- طريقة تقديم هذه المادة العلمية.

وبمعنى آخر، لاتقتصر المقومات الأساسية لعملية التدريس على معرفة المدرس للمعلومات العلمية المقررة معرفة تامة وكاملة، وإنما ينبغى بجانب ما تقدم أن تكون لدى المعلم بعض مهارات شرح وعرض تلك المعلومات. وتتمثل أهم مهارات التدريس فى موقف المعلم وشخصيته وحسن إتصاله بالتلاميذ، وحديثه إليهم، وحسن إستماعه لما يقولونه، والإجابة عن أسئلتهم، وبراعته فى إستهوائهم وتشويقهم، وقدرته على إيصال الحقائق والمفاهيم العلمية إلى عقولهم ببساطة ووضوح.

ومن ناحية أخرى، فإن غاية التدريس أرحب وأوسع بكثير مما يصبو إليه التعليم ويحاول تحقيقه، فالتدريس يعني التربية بمعناها الواسع. بمعنى، أن هدف التدريس لا يقتصر فقط على مجرد معلومات تلقى ومعارف تكتسب، شأنه في ذلك شأن التعليم الذى يملأ العقل بشتى ألوان المعرفة وإنما التدريس هو إعداد الفرد للحياة. فمن خلال عملية التدريس تتم تربية العقل، والشخصية، والخلق، والوجدان، والضمير.

وبإختصار، فإن غاية التدريس تتمثل في جعل الفرد عضواً عاملا وكاملا في مجتمعه، وتعويده على الإعتماد على نفسه، وذلك من خلال تنمية ملكاته العقلية والذهنية، وتقوية إرادته، والإهتمام بصحته الجسمية والعقلية والنفسية، وإكسابه مقومات الخلق القويم، والإستمتاع بالحياة

والسؤال : **هل التدريس علم أم فن؟**

إن العلم هو هيكل نظامى من المعرفة بحقيقة ظاهرة ما، في شكل يسمح لنا بالتعامل معها بصورة مقبولة ومباشرة.

والتعريف السابق يشير إلى أن العلم بمثابة مجموعة الحقائق والأفكار، والنظريات التى تحققت وتم التأكد من صدقها وسلامتها من خلال الملاحظة أو التجريب، وبذا يمكن إستخدامها في شتى جوانب الحياة العملية. لذا، يتقبل الناس العلوم ولا يختلفون حول ماهيتها أو كينونتها أو تركيبها؛ لأن مصدرها العقل، والعقل ثابت أمام ما تأكدت صحته.

أما الفن فهو بمثابة المهارات والخبرات التى يتميز بها فرد دون آخر، لأنها تتوقف على مدى حذاقة وتمكن الإنسان منها، وفقًا لما حباه الله من إمكانات وقدرات، ووفقًا لما لديه من إستعداد لتطوير هذه الإمكانات والقدرات من خلال الممارسة. لذا قد يختلف الناس في الحكم على الفنون المختلفة التى هى مصدرها الذوق والعاطفة، وهذه أمور لا يتفق فيها جميع الناس، وإنما يختلفون في الحكم على العمل الفنى الواحد من حيث القبول أو الرفض.

وهنا، قد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أن العلوم والفنون لا تتلاقيا. ولكن، لذلك ليس صحيحًا تماما، لأن لكل من العلوم والفنون جانبين، أحدهما نظرى والآخر تطبيقى. فالمفاهيم، والحقائق والنظريات، والأنظمة هى الجانب النظرى للعلوم، أما إستخداماتها وتوظيفاتها في الحياة العملية فهى الجانب التطبيقى لها. كذلك، الفنون لها جانبها التطبيقى، وهو الجانب المحسوس الملموس الذى يمكن رؤيته، والإحساس به، والتفاعل معه. وعلى الرغم من ذلك، فان هذا الجانب التطبيقى لا يقوم على فراغ، وإنما له أصوله وقواعده النظرية التى دونها يصبح هذا الجانب مجرد شطحات ونزعات لأفراد، قد يتسموا بالجنون أو المغامرة.

تأسيسًا على ما تقدم، نقول أن العلم والفن وجهان لعملة واحدة، أى أنهما لاينفصلان، بل هما متداخلان ويتشابكان بوشائج نسب قوية متينة الأساس.

على ضوء الحديث آنف الذكر، يكون التدريس مزيج متشابك الأطراف من العلم والفن. فالمدرس، إذا كان يدرك فقط مجموعة النظريات والعلوم التربوية، فإنه بذلك يسيطر على الأصول النظرية من عملية التدريس، ولكنه لن يكون أبدًا مدرسًا ماهرًا لأنه لايتقن أساسيات وتطبيقات المادة التى يتحمل مسئولية تعليمها. ولكن، إذا إستطاع أن يلم تمامًا بجميع أركان مادة تخصصه التى يقوم تدريسها، وأن يقوم فى الوقت ذاته بتطبيق مجموعة النظريات والعلوم التربوية التى يعرفها بطريقة وظيفية داخل الفصل، فإنه بذلك يكون فنانًا ، يؤدى عمله بسهولة وسلاسة، ودون تكلف، وبتلقائية طبيعية.

إن التدريس الفعال بمثابة فن مؤسس على علم، كما أنه علم يقوم على فن، حيث يقوم العلم على السيطرة والإدراك الكاملين للجانب الأكاديمى المتمثل فى معرفة المعلومات العلمية الصحيحة المقررة على التلاميذ، ويقوم الفن على الوسائل التى من خلالها يمكن توصيل هذه المعلومات توصيلا جيدًا، وسهلا للتلاميذ.

ثانياً : منظومة التدريس :

تقوم منظومة التدريس كنشاط إنسانى على أساس علاقات تفاعلية تبادلية التأثير، تتمثل فى المعلم والمتعلم ومادة التعلم وبيئة التعلم، لذلك يكون التدريس بمثابة سلوك إجتماعى.

ولكى تكون منظومة التدريس فى أوج نشاطها الإنسانى، يجب أن يكون التفاعل تمامًا بين أركان التدريس (عناصر منظومة التدريس)، أى ينبغى أن يتحقق التفاعل بين المعلم والمتعلم من جهة، وبينهما والقيادات التربوية من جهة ثانية، وبينهما وبيئة التعلم من جهة ثالثة، كما يوضح ذلك الشكل التالى :

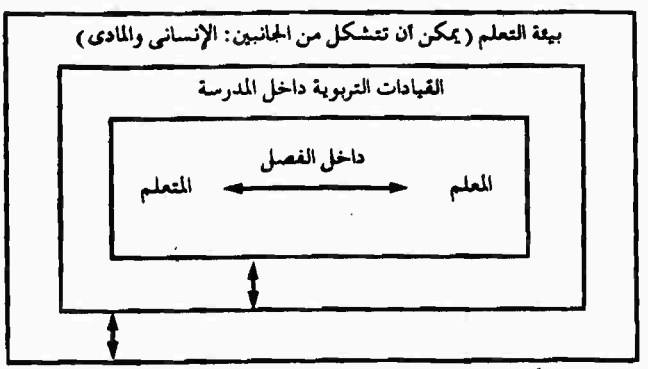

شكل (١) : منظومة التدريس فى شكلها الإنسانى

وتتألف منظومة التدريس من ثلاث متتابعات، وهى: مدخلات التدريس، وعمليات التدريس، ومخرجات التدريس، وذلك ما يوضحه الشكل التالى:

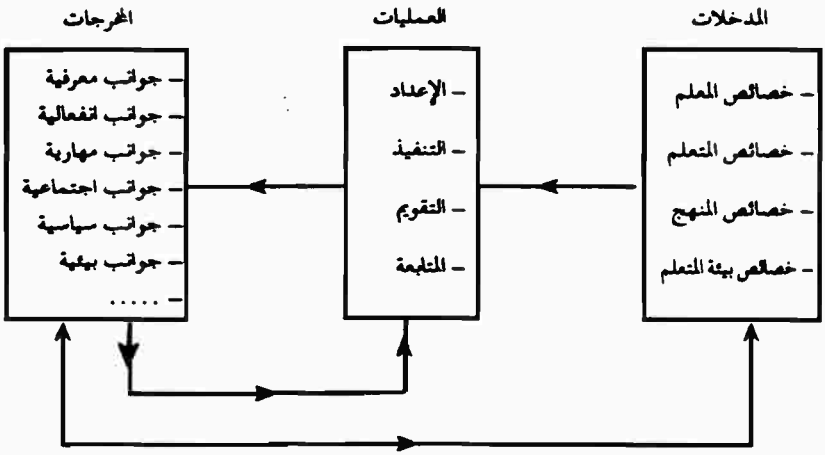

شكل (٢)

متتابعات منظومة التدريس

ومما هو جدير بالذكر، أن كل متتابعة من المتتابعات الثلاث السابقة بمثابة منظومة فرعية، كما يوضح ذلك الأشكال التالية :

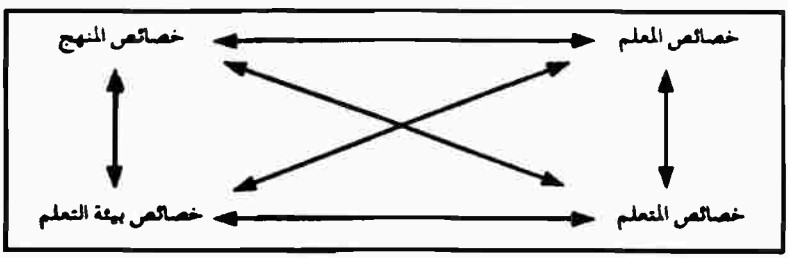

شكل (٣)

منظومة مدخلات التدريس

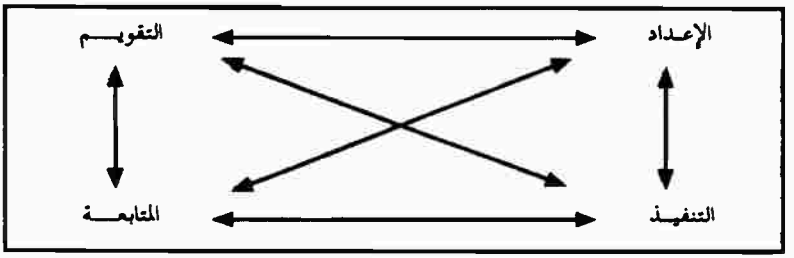

شكل (٤)

منظومة عمليات التدريس

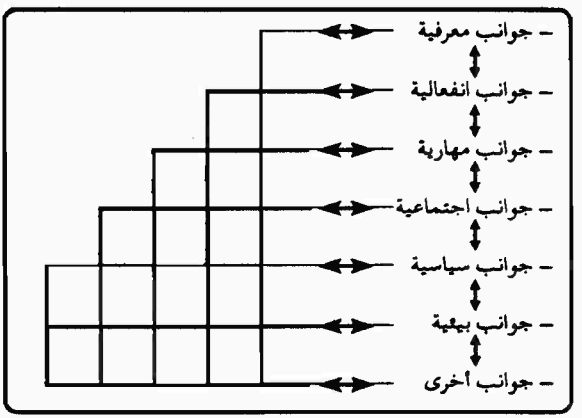

شكل (٥)

منظومة مخرجات التدريس

أولا الركائز الأساسية لمنظومة التدريس، فتتمثل فى الآتى :

١ – التدريس منظومة متعددة المراحل، إذ أنها عملية تتضمن أنشطة كثيرة قبل وأثناء وبعد الموقف التدريسى، وذلك ما يوضحه الشكل التالى:

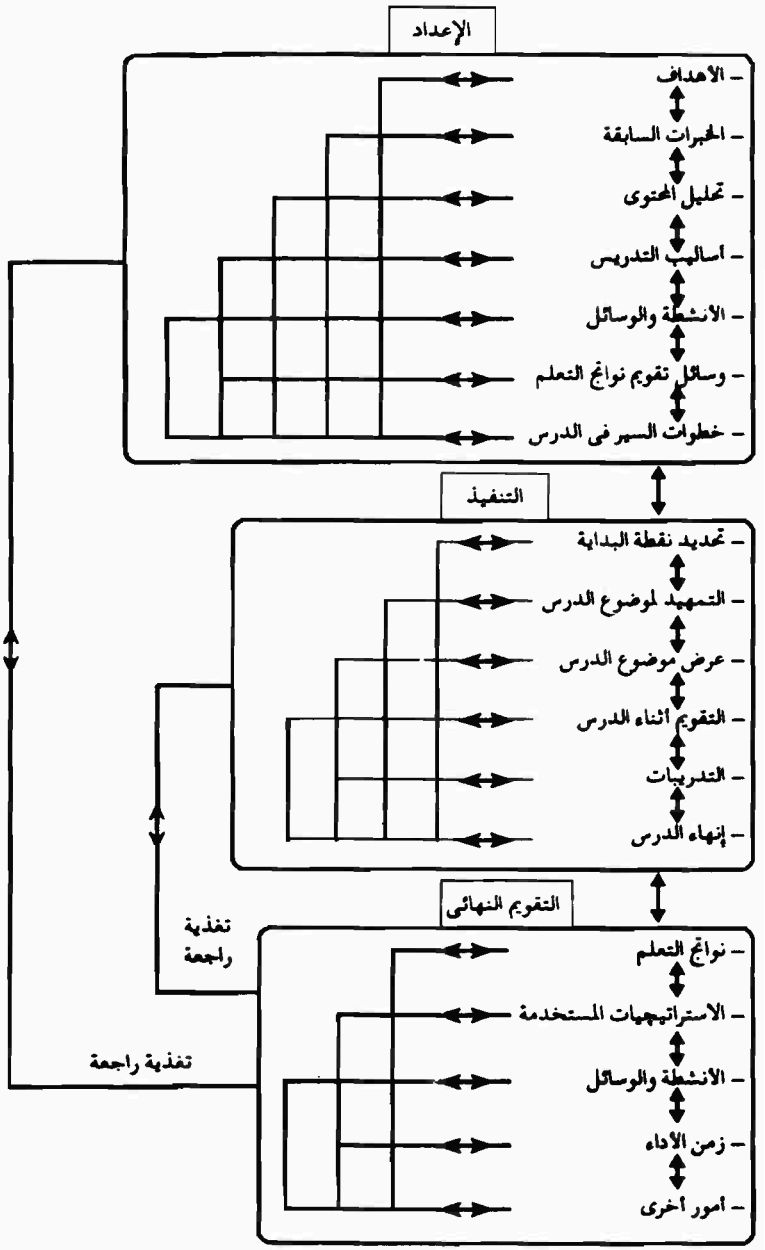

شكل (٦)

التدريس منظومة متعددة المراحل

٢ – مكونات منظومة التدريس، وهى أربعة مكونات متداخلة ومتفاعلة، بحيث يكون من الصعب الفصل بين هذه المكونات، كما يوضح ذلك الشكل التالى :

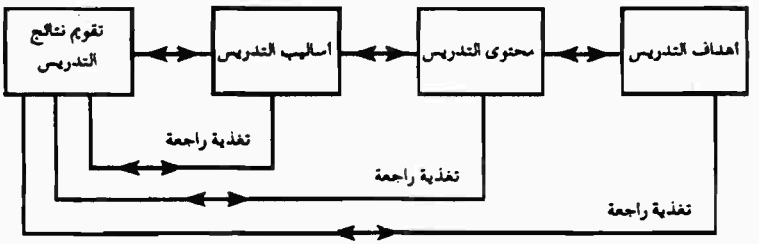

شكل (٧)

مكونات منظومة التدريس

٣ – التفاعل بين المعلم والمتعلم، إذ إن منظومة التدريس تمثل عملية إتصال وتواصل بينهما، مهما كان النمط التدريسى المتبع. ومن خلال هذه العملية، يمكن أن تحدث علاقات تأثير بين المعلم والمتعلم، كما يوضح ذلك الشكل التالى :

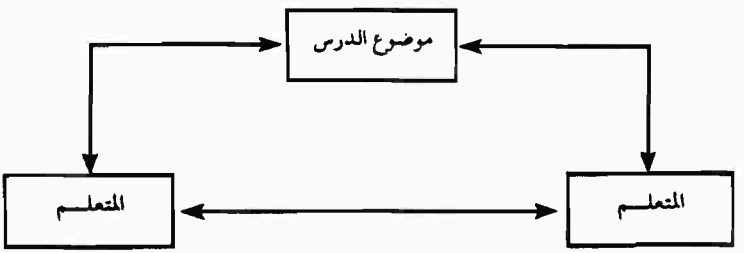

شكل (٨)

منظومة التفاعل بين المعلم والمتعلم

ثالثاً: مخرجات منظومة التدريس في ضوء العلاقات الإنسانية الشائكة:

ولدت الأفكار البراجماتية، التي تسود العالم الآن، علاقات إنسانية شائكة، إذ أصبحت المصلحة هي التي تحكم وتتحكم في العلاقات بين الأفراد. لذلك، نجد الفرد مشحون بأفكار مادية بحتة، بحيث لايهتم كثيراً بالأمور المعنوية، إذ بات مقصده ماديًا أولا وأخيراً.

وعليه ... لاغرابة مطلقًا أن يقبل غالبية الأفراد الأفعال السلبية ولايقاومونها، رغم أن تلك الأفعال أنهت كثيراً من المعاني النبيلة والسامية، التي كانت سائدة في الزمن الجميل.

بمعنى؛ أصبح كل شيء مستباح ومباح، طالما لا يخل بالشرعية والقانون من الناحية الشكلية، حتى وإن كان ذلك على حساب الآخرين، إذ إن مشاعر الآخرين وعواطفهم ليس لها الآن أي إعتبار. إن ما يتم تقديره في حساب الفرد، هو علاقات من النوع: «خذ وهات»، تحقيقا لمنافع مشتركة، أحيانًا تكون قانونية، وفي أغلب الأحوال لا تتسم بالشرعية.

وللأسف، إنتقلت العلاقات الإنسانية الشائكة داخل المدرسة، لتجد لها مكانة بارزة في المواقف التدريسية، داخل الفصول. ونتيجة طبيعية لهذا الوضع، تأثرت ممارسات التدريس، من قبل مجموعة لايستهان بها من المدرسين. لذلك، نجد بعض المدرسين يقولون: «إننا نعمل على قدر فلوسهم»، أو يقولون: «إننا نعمل فقط بالطريقة التي لا تعرضنا للمحاسبة أو المساءلة».

حقيقة، لقد باتت العلاقات الإنسانية بين المعلم والمتعلم صعبة وشائكة آنيًا، فلماذا هذا؟ وما دور كل من المعلم والمتعلم في تأكيد العلاقات الشائكة بينهما؟ وهل أسهم المسؤولون التربويون في فقد الثقة بين المعلمين والمتعلمين من جهة، وبين المعلمين وأولياء الأمور من جهة أخرى؟ ولماذا يتباكى أولياء الأمور على فقد الصلة بين المدرسة والأسرة، دون محاولة منهم لإعادة العلاقة بينهما في نصابها الصحيح، بهدف إقامة وشائج نسب قوية متينة الأساس بين الأسرة والمدرسة؟.. إلخ.

إن الأسئلة الصعبة آنفة الذكر تعكس مدى التعقد والتشابك العنكبوتي في العلاقات الإنسانية بين المعلم والمتعلم، مما أثر سلبًا على ممارسات التدريس.

وعلى الرغم من إننا لن نتصدى للإجابة عن الأسئلة السابقة، فإن الغرض الرئيس لذكرها، هو تأكيد وجود مشكلة في العلاقات الإنسانية، تؤثر في ممارسات التدريس الفعال سلبيًا، وذلك ما يوضحه الحديث التالي:

من الناحية النظرية البحتة، تقوم منظومة ممارسات التدريس فى صورتها المثالية، على أساس التفاعل تبادلى التأثير بين عنصر الإثارة الفكرية، وعنصر الصلات الشخصية بين المعلم والمتعلم، حيث :

- تتجلى مهارة المعلم وبراعته فى خلق الإثارة العقلية والفكرية لدى المتعلمين، وذلك يؤثر إيجابًا فى نوعية التعليم.

- الصلة الإيجابية بين المعلم والمتعلمين، وأنماط العواطف والعلاقات التى تثير دافعية المتعلمين لبذل أقصى ما فى وسعهم فى الدراسة، لها دور فى جعل التدريس أكثر كفاية وإنتاجية.

ويمكن تمثيل منظومة ممارسات التدريس فى الشكل التالى :

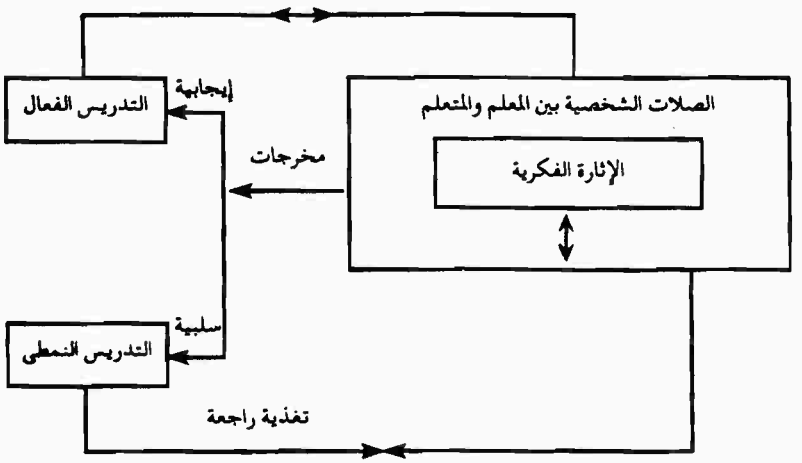

شكل (٩)

مخرجات منظومة التدريس

إن العلاقات الإنسانية الشائكة بين المعلم والمتعلم بصورتها الحالية، تؤثر سلبًا فى ممارسات التدريس الفعال، كما قلنا من قبل، وذلك للأسباب التالية:

- لا يهتم المعلم غالبًا بإثارة العواطف المرتبطة بالنشاط العقلى للمتعلم، لأنه لا يساعده فى إثارة التمعن فى الأفكار، وإدراك المفاهيم المجردة، ومعرفة وإظهار مدى صلة هذه المفاهيم بحياة المتعلم.

- يهتم المعلم بالتدريس الاستعراضى، الذى يقوم على التكلف، ولفت الانتباه، إذ يقوم عمله على أساس التمثيل أو التسلية، أو مجرد شغل وقت الحصة، دون إهتمام بالمعانى السامية الضمنية لعملية التدريس ذاتها.
- يكون تاثير المعلم على المتعلم سلبيًا، لذلك:(١) لا يتجرأ المتعلم على تدوين ملاحظاته عن السلوك الادائى أو الشخصى للمعلم،(٢) يجد المتعلم صعوبة فى متابعة، ثم فهم ما يشرحه المعلم، (٣) لا يدرك المتعلم بدرجة كبيرة طبيعة العلاقات بين المفاهيم، إذ لا يجد ارتباطًا كبيرًا بين المضمون وخبراته الذاتية،(٤) قد يحس المتعلم كثيرًا بشعور الاحباط أو الغضب، فيعرض عن حضور الحصص، ويكون سعيدًا للغاية فى حالة غياب المعلم.
- لا يساعد المعلم فى تطوير التعلم الذاتى المستقل للمتعلم، رغم أهمية هذا النمط من التعلم فى حل مشكلات المتعلم: الحالية والمستقبلية، وذلك قد يعيق نموه العقلى ليصبح ناضجًا ومسئولا عن نفسه حاليًا، وعن آخرين فى المستقبل.
- لا يولى المعلم إهتمامًا يذكر بالمتعلم من الناحيتين: الشخصية والتعليمية، وذلك قد يثبت أفكارًا بغيضة داخل المتعلم، كأن يشعر بأن المعلم يكرهه، ويتربص به.
- لا يتيح المعلم للمتعلم الفرص المناسبة للتعبير عن قدراته ودوافعه، وعن آرائه الشخصية، وذلك قد يصيب المتعلم بحالات من القلق والغضب.

وما الحل ؟

القضية ليست سهلة، بحيث يمكن تقديم بعض الاقتراحات بشأن حلها، لأنها ترتبط بأخطر ما فى الوجود الإنسانى، وأعنى العلاقات الإنسانية، لذلك من المهم أن تتحمل أكثر من جهة رسمية مسئولية دراسة هذا الموضوع، وذلك بجانب الجهود التى يجب أن تقوم بها وزارة التربية والتعليم، بشرط أن تكون النوايا صادقة لوضع النقط على الحروف لحل مشكلة العلاقات الإنسانية الشائكة بين الأفراد فى المجتمع، وتأثيراتها السلبية على منظومة ممارسات التدريس.

وبجدر التنويه إلى أهمية سرعة حل المشكلة آنفة الذكر، ضمانًا لتحقيق السلام الإجتماعى بين الأفراد من جهة، وضمانًا لفاعلية عملية التدريس، وما يترتب عليها من تأثيرات إيجابية على مستقبل الأمة.

خاتمة:

أبرز الحديث السابق المقصود بالتدريس، والمقصود بمنظومة التدريس، ثم أظهر خطورة العلاقات الإنسانية الشائكة فى الوقوف كعقبة كؤود أمام منظومة ممارسات التدريس، وفى تحقيق التدريس الفعال. وفى النهاية، أوصى الحديث السابق بضرورة الإهتمام بمضمون الموضوع الذى تطرق إليه، على أن يكون هذا الإهتمام على المستوى القومى، وبشرط أن تكون الجهود جادة وصادقة نحو تحقيق هذا المسعى.

المراجع

(١) مجدى عزيز إبراهيم، **التدريس الفعال.. ما هيته، أساليبه، إدارته**، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

(٢) ــــــــــــــ ، **مهارات التدريس الفعال**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧.

الفصل الحادى والعشرون

تصميم منظومة التفاعل الصفى

للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة فى ضوء متطلبات مجتمع المعرفة*

- تمهيد.
- رعاية الطفل الموهوب.. مسئولية قومية.
- رعاية الطفل المتأخر دراسيًا.. واجب إنسانى.
- أساسيات تدريس الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.
- تصميم منظومة التفاعل الصفى للأطفال الموهوبين والمتأخرين دراسيًا، فى ضوء متطلبات مجتمع المعرفة.
- خاتمة.

* ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر التربية الخاصة فى القرن الحادى والعشرين: تحديات الواقع وآفاق المستقبل، كلية التربية جامعة المنيا، ٧-٨/٥/٢٠٠٢

تمهيد:

فى بدايات القرن الحادى والعشرين، حيث يعيش الفرد الآن فى مجتمع المعرفة، يكون من المهم بمكانة النظر بعين الإهتمام إلى تعليم ذوى الاحتياجات الخاصة، حتى يمكنهم مقابلة مايموج به العصر من مشكلات شائكة، تتسم بالنمو المتسارع فى وجود معدلات الإكتشافات العلمية والإبتكارات التكنولوجية الهائلة. لذلك، يؤكد مجتمع المعرفة اهمية مواجهة مشكلات التعقيد والتعقد فى شتى المجالات بعامة، وفى مجال التعليم بخاصة. ناهيك عن أن مجتمع المعرفة يسير فى إتجاه الإهتمام بذوى الاحتياجات الخاصة، بسبب إندلاع ثورة الذكاء، وإعطاء الأولوية لكل ماهو مكتسب.

وقد يقول قائل : «إن ماتقدم لايمثل مشكلة حقيقية فى تعليم الطفل الموهوب، ولكنه يمثل مشكلة بالنسبة لتعليم الأنماط الأخرى من ذوى الاحتياجات الخاصة، مثل: الطفل المتاخر دراسيًا، والطفل المعوق حركيًا أو سمعيًا أو بصريًا».

وبعيداً عن مشكلات تعليم الطفل المعوق، فإن تعليم الطفل الموهوب او الطفل المتاخر دراسياً، على حد سواء، تتطلب مواجهة جادة حتى لايكون أيًا منهما كورقة سقطت وسط كومة من الشوك، أو ضاعت وسط الزحام. فالطفل أياً كان، يجب أن يكون مصدر البهجة والفرحة للأسرة، وأن يكون أساس التكوين المستقبلى للمجتمع، وذلك مايوضحه الحديث التالى:

أولا : رعاية الطفل المبدع الموهوب .. مسئولية قومية:

يتزايد إهتمام الرأى العام، كذا المسئولين الرسميين، بالطفل الموهوب، على أساس أنه يمثل رصيد الأمة للمستقبل، لذا يعمل الجميع، بلا استثناء، وبلا كلل، من أجل إكتشاف الطفل الموهوب، ومحاولة تلبية حاجاته وإحتياجاته، التى تنمى موهبته، وتزيد فاعليتها .

وهناك شبه إجماع بين التربويين، ممن يعملون فى شتى المجالات، بأن الطفل الموهوب يتميز بقدرة عقلية رفيعة المستوى، يمكن قياسها بإختبارات الذكاء، وذلك بالنسبة للمجالات التالية :

١ – القدرة على التفكير والاستدلال .

٢ – القدرة على تحديد المفهومات اللفظية .

٣ – القدرة على إدراك أوجه الشبه بين الأشياء والأفكار المماثلة ، أو أوجه الإختلاف بين الأشياء والأفكار، التى توجد بينها فروق ضئيلة جداً.

٤ – القدرة على الربط بين الأسباب ومسبباتها .

٥ – القدرة على الربط بين التجارب السابقة والمواقف الراهنة .

٦ – القدرة على حل المشكلات الإجتماعية .

٧ – القدرة على التفاعل مع المواقف الجديدة .

إذًا، الطفل الموهوب يظهر تفوقًا ملحوظًا في مجالات بعينها، لو سمحت له الظروف بذلك. ولا يعني ما تقدم، أن الطفل الموهوب – بطبيعته – معزلا عن الآخرين، أو متقوقعًا حول ذاته، وإنما يعني أمرين : أولهما : بعض الأطفال – وليس كلهم – قد يكونوا من المنطوين وغير الإجتماعيين، لذا ينبغي محاولة إكتشافهم، للإستفادة من نبوغهم وإبتكاراتهم وإبداعاتهم. وثانيهما : إذا كان الطفل الموهوب، يعمل، لتأكيد ذاتيته، فيجب إتاحة الفرص المناسبة له، من أجل الإنطلاق، لتحقيق المزيد والمزيد من النبوغ والابتكار والإبداع، في مجالات متعددة، وليس في مجال واحد بعينه .

ومن وجهة نظرنا، فإن الطفل الموهوب، يكون نابغًا في مجالات عديدة، ولا يقتصر نبوغه على مجال واحد. بمعنى ؛ إن الطفل الموهوب، بجانب تحقيقه تفوقًا في الرياضيات، على سبيل المثال، يمكن أن يكون عبقريًا في الموسيقى والفنون وغيرها من المجالات، وذلك ما تحقق بالفعل مع بعض العباقرة المشهورين المعاصرين، أمثال : (**أينشتين**) و(**برتراندراسل**).

وبالنسبة لمستوى التحصيل المنتظر من الطفل الموهوب، وخاصة في القراءة والحساب، فإنه متقدماً على أقرانه في الفصل، وذلك وفق المعادلة التالية :

$$\text{التحصيل المنتظر} = \frac{٢ \times \text{العمر العقلي} + ١ \times \text{العمر الزمني}}{٢}$$

مع مراعاة أن تحصيل الطفل الموهوب في القراءة، يكون أعلى من تحصيله في الحساب .

ولمعرفة المزيد عن الطفل الموهوب، نذكر الآتي :

يقولون أن : «الأمور ببداياتها»، وأن «التعليم في الصغر كالنقش على الحجر»، لذا من المهم إكتشاف الطفل المبدع الموهوب في الحضانة ورياض الأطفال، قبل أن يتوه في زحام المدرسة الإبتدائية، وما بعدها، ونفقد فرداً من الممكن جداً لو وجد الرعاية في سنوات عمره الأولى في الحضانة ورياض الأطفال لأصبح نابغة في الأدب أو الفن أو الفلسفة أو الاقتصاد أو الرياضة أو العلوم .. إلخ.

وبعامة، يختلف الطفل الموهوب فى تفكيره وعواطفه ومشاعره ومعاملاته، عن نظرائه من الأطفال العاديين، فى ذات الأمور السابقة. «إن الطفل الموهوب أشبه بمن يرى العالم من خلال ميكروسكوب إلكترونى، ذلك أن مثل هذا الطفل يرى ما لا يراه الآخرون ولا يستطيعون تخيله».

فى ضوء ما تقدم، ينبغى مراعاة الأسس التالية، التى تسهم فى بناء وتكوين مقدرات الطفل الموهوب :

(١) مساعدة الطفل لكى يفهم أحاسيسه، ويعرف كيف يستفيد منها فى مسار نموه. كذا، مساعدته فى السيطرة على مشاعره وضبطها وتهذيبها، وإظهارها فى الوقت والمكان المناسبين، ويتحقق ذلك عن طريق التوافق والضبط الاجتماعى .

(٢) تقدير الطفل، لا يقوم على أساس قدرته العقلية العالية ونبوغه الدراسى فقط، بل أيضًا على أساس ما لديه من صفات أخرى، مما يساعد على تنمية مواهبه فى شتى المناحى دون مغالاة .

(٣) مساعدة الطفل فى تجاوز المحاولات الفاشلة، ومواصلة البحث والدراسة بجدية، وبذا يثق فى نفسه وفى الآخرين من حوله .

واضح مما تقدم أن الطفل الموهوب شأنه شأن الطفل العادى بالنسبة لإمكانية حدوث الخطأ، والفرق بينهما فى أن نسبة حدوث الخطأ، وتداركه بسرعة وسهولة، يكون لصالح الطفل الموهوب .

(٤) تعليم الطفل الأخلاق الحميدة، المتمثلة فى المحبة والإهتمام والتعاون والمشاركة الفعالة والصدق فى المعاملة ... إلخ، ينبثق من القدوة الحسنة والمثل الأعلى، الذى تقدمه معلمة الحضانة ورياض الأطفال، وخاصة أن هذه النوعية من الأطفال، تتميز بقوة الملاحظة وسرعة تلقن المفاهيم .

(٥) رغبة الطفل القوية لتعلم كيفية عمل الأشياء، ومثابرته وصبره على رؤية التفاصيل الدقيقة، وعدم الملل، ورغبة الإنجاز، ومحاولة تحقيق السبق والتفوق والتقدم، لهى أمور ينبغى أن تراعيها معلمة الحضانة ورياض الأطفال، وتشجع على إظهارها وعدم كبتها، بإستخدام الأساليب المناسبة .

ويستطيع معلم أو معلمة الأطفال التعرف على الطفل الموهوب، إذا حقق أداءً متميزًا فى واحد على الأقل، من المجالات التالية :

أ – القدرة العقلية العامة .

ب – الاستعداد الدراسى المتميز .

جـ – التفكير الإبداعى والإنتاجى .

د – القدرة على قيادة الآخرين .

هـ – الفنون التشكيلية أو المسرحية أو الموسيقية .

إذاً، الذكاء المرتفع وحده، ليس هو الشرط الوحيد، لتحديد الموهبة وتحقيق التفوق، وذلك يتوافق مع نظرية **رينزلى**، التى تفسر الموهبة والتفوق، على أساس وجود تفاعل بين مكونات الموهبة الثلاث، وهى :

١ – الذكاء المرتفع فى القدرة العامة والقدرات الخاصة .

٢ – الانهماك فى العمل بحماس .

٣ – الإبداع (أى الابتكار) .

والحقيقة التى لا ينبغى أن تغيب عن أنظارنا، أن المعلم، رغم دوره المهم فى تكوين الطفل المبدع الموهوب، فإنه ليس الطرف الوحيد والعنصر الفاعل المتفاعل فى هذه العملية . وفى هذا الشأن، يمكن التمييز بين عناصر السياق الاجتماعى التى تؤثر فى تنمية الإبداع، وتأكيده، على أساس كثافة تأثيرها على الطفل المبدع إلى نوعين، هما :

(أ) نوع أولى أو خاص :

يتصل بالقوى الاجتماعية التى لها تأثير مباشر على الأفراد المبدعين، سواء من ناحية تنشئتهم وتربيتهم، أو من ناحية تقبل نشاطهم الإبداعى . وهنا، يدخل دور الأسرة والمعلمة والأطفال الآخرين .

(ب) نوع ثانوى أو عام :

يتصل بالقوى الحضارية التى تكون الإطار الاجتماعى والثقافى والسياسى العام بالمجتمع، والتى من شأنها أن تيسر الإبداع أو تعوقه، وتساعد على تقبل المبدعين أو مقاومتهم . وهنا، تظهر أهمية البيئة الطبيعية والموقع الجغرافى والاتجاه الفلسفى للثقافة، ومستوى تقدم الحضارة، والفرص التربوية والخبرات المتاحة، والعوامل السياسية، والعوامل الاقتصادية، والتنظيم الاجتماعى .

وجدير بالذكر أنه بمناقشة تنمية الإبداع من زاوية الفرص المتاحة للأطفال المصريين للإبداع بالفرص المتاحة للأطفال الأمريكيين أو الأوروبيين على سبيل المثال، نكتشف فروقًا عميقة، لصالح الطفل الأمريكى أو الأوروبى، لعل أهمها ما يلى :

- النظام التعليمى الحديث الذى يركز تركيزاً أساسيًا على الإبداع، وعلى تنمية التفكير النقدى، ولايعتمد على التلقين كوسيلة للتعلم.

- توافر الألعاب للأطفال، التى تحث على الفهم والتحليل والتركيب .

- السياق الاجتماعى لهذه المجتمعات نفسها، يشجع على الإبداع ويعطى الفرصة الواسعة أمام المبدعين، لكى ينشروا إنتاجهم ويكافأون على انتاجهم المتميز أدبيًا وماديًا.

- إنفتاح النظام التعليمى فى هذه المجتمعات، يسمح للمبدعين أن يدرسوا العلوم التى يتميزون فيها، ويختارون التخصصات التى يرغبون فى دراستها، على عكس النظام التعليمى المصرى، الذى لا يتيح للأطفال أو الأولاد أو الشباب التخصص فى العلوم التى يريدونها، بحكم أنه يقوم على مبدأ المجموع الكلى للطالب .

فى ضوء ما تقدم، يظهر الدور المهم والحيوى لمعلم أو معلمة الأطفال، إذ رغم ندرة الموارد المادية المتاحة لهما، ورغم ظروفهما المعيشية الصعبة، بسبب تدنى أجرهما الشهرى، وعدم إمكانية إعطاء دروس خصوصية كناحية تعويضية، فإننا نجد أنهما لا يحفران فى الصخر فقط، بل يناطحانه، ويظهر ذلك واضحًا جليًا فى المعارض التى تقدمها المدارس، فى نهاية كل عام، حيث يتم عرض إبداعات وإبتكارات الأطفال، التى تتحقق تحت إشرافهما، وبمعاونتهما . أيضا، لا يقتصر الأمر، على ما سبق ذكره فقط، إذ يتحمل المعلم أو المعلمة مسئولية الأطفال، طوال العام الدراسى، ويتوليان رعايتهم حيث نجد تجليات هذه الرعاية، تتمثل فى النواحى الدراسية والفنية والإذاعية والصحفية والرياضية والإجتماعية .. إلخ .

والسؤال :

إذا كان أطفالنا يبدعون فى سنوات عمرهم الأولى، فلماذا لا يبدعون عندما يكبرون، ويدخلون الجامعة، تحت مسئولية أساتذة يمثلون قادة العلم والفكر فى المجتمع؟

إن الإجابة عن السؤال السابق الصعب والمعقد، لهى سهلة وبسيطة للغاية، إذ أن ظاهرة إبداع الطفل فى رياض الأطفال وفى المرحلة الإبتدائية، لا تتجاوز وضعه فى دائرته الخاصة، تحت إشراف المعلم أو المعلمة. ولكن فى المستويات الأعلى ،حيث « يتجاوز الوضع الفردى للمبدعين إلى السياق المجتمعى للإبداع. بمعنى ؛ نوعية النظام السياسى، ومدى إنغلاقه أو إنفتاحه، وطبيعة النظام الاقتصادى، ومدى حثه للأفراد على المبادرة والمخاطرات المحسوبة، ونوعية القيم الاجتماعية السائدة، ومدى محافظتها أو تقدميتها فيما يتعلق بتوسيع دائرة

حرية التفكير وحرية التعبير، وتقلص دائرة المحرمات أو إتساعها »، يجد الفرد – الذى كان يومًا ما، طفلا مبدعًا- نفسه تائهًا وسط الزحام، ومحاطًا بمجموعة هائلة من التعقيدات والمحظورات، التى يفشل فى أغلب الأحيان فى مواكبتها والتعامل معها، ولا يستطيع مواجهتها من موقف الند للند، وذلك يجعله يكف عن الإبداع، ويلقى بقدراته الإبداعية، فى دهاليز الظلام .

وأخيرًا :

ما دور الأسرة فى تنمية الموهبة لدى الطفل ؟

أوضحنا فيما تقدم، الدور الفعال لمعلم أو معلمة الأطفال، بالنسبة لتنمية إبداعات الأطفال .

وهنا، يجدر الإشارة إلى « أن الأسرة تلعب الدور الأهم فى تشكيل الموهبة لدى الطفل، وأن الأسرة إذا لم تقم بتشجيع الطفل وتقديره وتوفير المناخ المناسب له فى البيت، فإن الموهبة قد تبقى كامنة. ولقد بين بلوم (Bloom) فى دراسة أجراها على ١٢٠ موهوبًا أظهروا نبوغًا فى صغرهم فى مجالات متنوعة، مثل: العزف على البيانو، أو النحت، أو السباحة، أو التنس، أو الرياضيات، أن دور البيت أهم من دور المدرسة فى تنمية الموهبة لدى الطفل. ولكن على الرغم من ذلك، فإن غياب دور المدرسة فى اكتشاف الموهوبين وتنميتهم، أو قهر الموهبة باتباعها أساليب تربوية عقيمة سوف يؤدى إلى إعاقة دور الأسرة، حيث لن تستطيع تعويض هذا القصور من جانب المدرسة. ويبين (بلوم) أن دور الأبوين يتمثل فى توفير نماذج إيجابية يقلدها الطفل، وامتلاك اتجاهات إيجابية نحو العلم والتعلم ».

ثانياً : رعاية الطفل المتأخر دراسيا .. واجب إنسانى :

تعتبر مشكلة التأخر الدراسى، من المشكلات الخطيرة، التى تحول دون تقدم المدرسة، وتقف عقبة كؤود أمام أداء رسالتها بالكامل .

أن « هذه المشكلة من أهم عوامل التخلف التربوى والثقافى، فهى مشكلة تهدد سلامة المجتمع، وتبدد الكثير من ثرواته المادية والبشرية، وتعوق ركب تقدمه ».

وفى هذا الصدد، يؤكد إبراهام Abraham، ضرورة الاهتمام بفئة « المتخلفين دراسيا ». كما، أجريت دراسات وبحوث عديدة بهدف تحديد البرامج والأساليب التربوية المناسبة لرعاية المتأخرين دراسيًا. وكنموذج من هذه الدراسات، قام (طلعت حسن عبد الرحيم: ١٩٧٥)، بدراسة تحليلية لشخصية التلاميذ المتأخرين دراسيًا فى المرحلة الإبتدائية فى جمهورية مصر العربية.

والبعد الخطير فى مشكلة التأخر الدراسى، يتمثل فى شعور بطيىء التعلم بالدونيه Fealing Inferior، لذا فإنهم يحتاجون إلى الإعتراف بوجودهم الإنسانى، من خلال دراسة الموضوعات وتعلم المهارات، التى يتم تعليمها لنظرائهم من الأطفال العاديين، فبطيئو التعلم يحتاجون إلى دراسة وإدراك أنهم يتعلمون برنامج فى الرياضيات (على سبيل المثال)، بنفس القدر من الأهمية والصعوبة التى يدرس بها أطفال آخرون عاديون، نفس البرنامج، ومع ذلك يحتاج الأطفال المتاخرين دراسيا، إلى ممارسة كثيرة ليتمكنوا من المهارات الأساسية. ويجب على معلم أو معلمة هذه النوعية من الأطفال، تجنب الاستخدام المفرط فى الشرح لهم، بحجة أنهم يحتاجون إلى مزيد من التفصيل والتوضيح، لأن ذلك قد يصيب الأطفال بالملل.

والسؤال :

من هو الطفل المتأخر دراسيًا ؟

نذكر فيما يلى بعض التعريفات الخاصة بالأطفال المتاخرين دراسيًا، من مدخل التحصيل المدرسى Scholastic Achievement :

* يشير سيرل بيرت Cyril Burt إلى أن الطفل المتاخر دراسيًا، هو الفرد الذى يكون مستوى تحصيله أقل من ٨٠٪ بالنسبة لمستوى أقرانه فى نفس عمره الزمنى .

* يعرف إنجرام Ingram المتاخرين دراسيًا، بانهم «هؤلاء الأطفال الذين لا يستطيعون تحقيق المستويات المطلوبة منهم فى الصف الدراسى، وهم متاخرون فى تحصيلهم الأكاديمى بالقياس إلى المستوى التحصيلى لأقرانهم» .

* ويوضح Dehaan & Kough أن «الطفل المتخلف دراسيًا هو الطفل الذى تكون قدراته العقلية غير كافية، بدرجة تسمح له بالانتظام ومواكبة الدراسة فى فصله الدراسى، ومن الضعف بدرجة لا تسمح له بمسايرة السرعة العادية لهذا الفصل» .

* ويشير Abraham, Willard، إلى أن «الطفل المتاخر دراسيًا، عادة ما يجد المقرر الدراسى من الصعوبة، بدرجة لا تجعله يستوعبه، إلا بعد أن يحدث لهذا المقرر نوع من التكيف التعليمى أو التربوى، أو التعديل بدرجة تجعله متكيفًا مع متطلبات قدرته فى التحصيل» .

* ويوضح .Leuegh, M.F، «أن نصيب أو قدر الطفل المتاخر دراسيًا من التحصيل، يعتبر من الأشياء الأولية التى تلفت الإنتباه والأنظار إليه ».

ونلاحظ من التعريفات السابقة ما يلى :

* مستوى تحصيل الطفل المتأخر دراسيًا أقل من مستوى تحصيل أقرانه .

* الطفل المتأخر دراسيًا يجد صعوبة فى دراسة المواد المقررة عليه .

* يلفت الطفل المتأخر دراسيًا الانتباه والأنظار إليه .

* يجب إحداث نوع من التكيف التعليمى أو التربوى للمواد المقررة على الطفل المتأخر دراسياً، بما يتوافق مع قدرته فى التحصيل .

ولكن فى ضوء الإعتبارات التالية :

– من غير المرغوب فيه تربويا مقارنة مستوى تحصيل الطفل المتأخر دراسيًا بمستوى تحصيل أقرانه العاديين، بل يجب مقارنة مستوى تحصيله على ضوء التقدم الذى يحرزه.

– من الصعب إحداث تعديل فى محتوى المواد المقررة على الطفل المتأخر دراسيًا، بما يتوافق مع قدرته فى التحصيل، نظراً لتوحيد هذه المواد على مستوى جميع دور الحضانة ورياض الطفل الرسمية، ونظراً لصعوبة تخصيص فصول للأطفال المتأخرين دراسيًا، لقلة عددهم .

– من ناحية أخرى، من غير المرغوب فيه تربويًا أو إنسانيًا، عزل الأطفال المتأخرين دراسيًا فى فصول تخصص لهذا الغرض .

– على الرغم من أن الطفل المتأخر دراسيًا قد يلفت الإنتباه إليه، فإنه يجب عدم الإشارة إلى ذلك صراحة .

إذاً، الأمل الباقى لهؤلاء الأطفال، يتمثل فى مدى الجهد الذى يبذله المعلم أو المعلمة معهم، ومدى حبهما ورعايتهما وإهتمامهما بهم. إن أى تقاعس فى تحمل مسئولية الطفل المتأخر دراسيًا، تعنى الحكم عليه بالتخلف الدراسى، الذى يؤدى بدوره إلى كراهية الطفل للتعليم فى مرحلة مبكرة جداً، قد تترسب فى أعمق أعماقه، بحيث يكون من المستحيل نزع هذه الكراهية من داخل نفسه، فى المراحل التعليمية التالية .

ويمكن أن تحقق معلمة الحضانة ورياض الأطفال، الخطوات الاجرائية التالية، التى يمكن أن تسهم فى حل بعض جوانب التأخر الدراسى عند الطفل :

* توفير المناخ التربوى الصحيح داخل الفصل، ليشعر الطفل بالأمن والطمأنينة والإنتماء، فيتحقق له النمو النفسى السليم .

* تجنب التوترات والخلافات الحادة مع الطفل، حتى وإن كانت بعض تصرفاته غير مسئولة، وحل مشكلات الطفل عن طريق المناقشة والحوار .

* يجب ان لا يتعدى عدد الأطفال فى كل فصل عن عشرين طفلا، لتستطيع المعلمة أن تعرف كل كبيرة وصغيرة، عن كل طفل على حدة.

* توفير المناخ المناسب للطفل، ليتابع كل ما تقوله المعلمة، وليتمكن من مناقشتها فيما تقول، دون خوف أو رهبة .

* تنمية ثقة الطفل فى نفسه، وإكسابه مفهومًا إيجابيًا عن نفسه .

* تجنب تعنيف الطفل، أو عقابه دون مبرر، والتأكيد على أهمية الثواب فى العملية التعليمية.

* تقبل الطفل بصورة غير مشروطة، مهما كانت صعوبات التعلم التى يعانى منها، وتسبب تأخره الدراسى .

* توطيد علاقة المعلمة مع أولياء امور الأطفال .

* عدم تكليف الطفل بفروض منزلية، ومحاولة جعل الطفل يتمم الواجبات داخل الفصل، ليجد الوقت اللازم للترفيه عن النفس خارج المدرسة .

* إستخدام اللعب التربوى فى التدريس، وغيرها من الطرق الإيجابية فى التدريس.

* توفير القصص والمجلات المسلية، التى تجذب إنتباه الطفل وإهتمامه .

* توفير برامج تشخيص التأخر الدراسى، على أن يراعى التالى :

  - أن تتم عملية التشخيص مبكرًا .
  - أن تكون عملية التشخيص مستمرة .
  - أن تكون وسائل التشخيص عالية الكفاءة .
  - أن تتدرب المعلمةعلى الملاحظة الدقيقة لسلوك الطفل .

* أن تقدم المعلمة مهارات أساسية سهلة وبسيطة، ليتمكن الطفل من فهمها والسيطرة عليها، ولتستطيع المعلمة سهولة قياسها .

* محاولة معالجة مشكلات إضطرابات النطق واللغة، عند بعض الأطفال.

* محاولة معالجة إضطرابات المهارات الحركية الأساسية، واضطرابات بعض الحواس، مثل السمع والبصر، عند بعض الأطفال .

* تشجيع الطفل للمرور فى خبرات حياتية بسيطة، كذا تشجيعه على محاولة حل المشكلات التى تكسبه أساليب التفكير الصحيح .

* مساعدة الطفل فى تحديد مشكلات بعينها، ومساعدته فى طرح الحلول المناسبة لها.

* الإهتمام بسعادة الطفل، وبصحته النفسية، ومراعاة مشاعره .

* تهيئة الظروف التى تحقق التفاعل الإيجابى بين الأطفال بعضهم البعض، وبينهم وبين المعلمة .

* الإهتمام بالأنشطة، التى تثير إهتمام الطفل وتحفز دوافعه الداخلية .

ثالثاً : أساسيات تعليم الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة :

ولما كان الهدف الأساسى للعملية التربوية فى سنوات الدراسة الأولى، فى أية مرحلة تعليمية، هو تهيئة الطفل وجدانياً وعقلياً وسلوكياً للتعليم من خلال اللعب الموجه، ولما كان القرن الحادى والعشرون يمثل عصر ما بعد الحداثة، الذى ترتبت عليه بعض النماذج والتصورات المقترحة لشكل دور الحضانة، أورياض الأطفال، أوالمدرسة الابتدائية، والمهام المطلوبة من كل منها، لذا يكون من المهم بمكانة أن يأخذ المعلم أو المعلمة فى حساباتهما الدقيقة، عند التعامل مع الأطفال، جدوى وأهمية وضرورة بعض المفاهيم ذات التأثير المباشر على نفسية الطفل، فى تعامله مع أقرانه من الأطفال الآخرين، داخل وخارج دور الحضانة أو رياض الأطفال أو المدرسة الابتدائية، وأيضا فى تعامله مع بقية أفراد أسرته. وقد يمتد هذا التأثير مستقبلاً، فيحدد نوع العلاقة التى تقوم عليها المعاملات مع الآخرين .

ومن هذه المفاهيم، التى لها دلالاتها ومغزاها، وما تحمله من مضامين، بالنسبة للطفل الموهوب أو المتأخر دراسياً، على حد سواء نذكر الآتى :

* الاثارة Arousal

وهى تهيج الشعور أو العاطفة، كالذى نحس به لدى الشعور بالجوع أو التعب، بالحرارة أو البرودة، أو بالرغبة الجنسية، أو بالتشوق إلى المعرفة، أو بالدهشة، ...إلخ .

* الألـم Pain

- ينتج عن زيادة درجة الاثارة عن حد معين أو من نقصانها عن حد معين .

- يكون الألم واضحاً عندما تتجاوز الإثارة حداً معيناً، مثل : شدة الجوع، أو التعب الجسماني، .. إلخ .

- يمكن إستخدام لفظة الألم، دون وجود مشير من أى نوع كان، وذلك مثل حالة الملل والسأم .

* الراحة Confort

هى الشعور الذى ينتاب الإنسان عندما يتم القضاء على مصادر الألم، وذلك مثل : تناول الطعام بعد جوع، أو الاسترخاء بعد مجهود عضلى مرهق، أو البعد عن مصادر الحرارة أو البرودة الشديدة، أو القضاء على السأم الذى قد يسببه حديث ثقيل الظل. ومن الممكن أن يحقق المرء مستوى عالياً ومستمراً من الراحة دون أن يشعر بالبهجة .

* المتعة Pleasure

– هى ما يشعر به الانسان أثناء عملية الانتقال من مستوى الاثارة المفرط فى إرتفاعه أو إنخفاضه إلى ذلك المستوى الأمثل .

– ان الشعور بالراحة أو عدمها يتعلق بدرجة تهيج العاطفة، أما المتعة فتتعلق بتغير درجة التهيج هذه .

– من غير الممكن أن يحصل المرء على المتعة، دون أن يتعرض لدرجة من التوتر أو إثارة المشاعر.

وعلى صعيد آخر، ينبغى أن تقوم العملية التربوية التعليمية فى رياض الطفل، على أساس معايير ومستويات، ووفق خطة مرسومة ومحددة سلفًا، من أجل تحقيق العديد من المسؤوليات، نذكر منها على سبيل المثال، لا الحصر، ما يلى :

– إعداد الطفل لحياة المواطنة والمشاركة الديمقراطية .

– تنمية الإبداع، والقدرة على التفاعل كفرد فى جماعة .

– إكساب بعض الأساسيات لبعض المفاهيم العلمية البسيطة .

– القدرة على إبداء الرأى، وتقبل النقد الذاتى البناء .

– إثارة الدافعية لمواصلة الدراسة فى المراحل التالية .

– قبول الآخر، والتعامل معه من منطلق التعاون المشترك .

– . . . . .

فى ضوء ما تقدم، يكون المطلوب من المعلم أو المعلمة القيام بالعديد من الأدوار والمهام، نذكر منها الآتى :

١ – الإهتمام بالجانب النفسى للطفل، عن طريق تحقيق مطالبه المعقولة، وإذا تعذر ذلك، ينبغى على المعلم أو المعلمة أن يوضحا للطفل بصدق وأمانة أسباب ذلك. أيضا،

ينبغى أن لا ينهراه أو يعنفانه أو يزجراه، بطريقة غير إنسانية، تجرح مشاعره. كذلك، يجب أن لا يعاقباه بطريقة لا آدمية، فتترسب داخله الدونية، ويحس أنه يعامل معاملة العبيد. وأخيرا، ينبغى أن يثيب المعلم أو المعلمة الطفل، الذى يحقق نجاحاً، بأسلوب مناسب، غير مغالٍ فيه، حتى لا يشعر أن العمل دائما مرتبط بالمكافأة.

٢ – إعطاء الطفل الفرصة للتعبير عن ذاته، وعدم التمسك بفكرة * : ضرورة إمتثال الطفل لجميع ما يقوله المعلم أو ما تمليه عليه المعلمة، بحجة أنه لا يستطيع التمييز بين الصحيح والخطأ، فى هذا العمر. وبالتالى، يجب أن يقبل المعلم أو المعلمة فكرة مناقشة الطفل لهما فى أرائهما، ليوافق منها على ما يشاء، ويرفض ما يشاء. وفى حالة رفض الطفل، لأى رأى يعود للمعلم أو للمعلمة، فيجب ألا يتشبثا برأيهما، وخاصة إذا إكتشفا صحة ما يقوله الطفل. أما إذا إعترض الطفل على ما يقولاه، وكان هذا الإعتراض يقوم على أساس خاطيء، فينبغى أن يساعداه على إكتشاف الخطأ الذى وقع فيه بنفسه، أو تصحيح هذا الخطأ له إذا فشل فى إكتشافه. وأخيرا، يجب الإبتعاد كلية عن الصرامة أثناء شرح الدروس، أو مناقشة الأطفال فيها.

٣ – توفير الجانب الترفيهى، الذى يشيع جو الراحة، داخل الفصل وخارجه، عن طريق إستخدام اللعب التربوى، فى تعليم وتعلم الدروس، وعن طريق ممارسة الألعاب الرياضية، وتوفير الأدوات والامكانات اللازمة لها، وعن طريق الأنشطة الفنية والإذاعية والتعبيرية والأدبية والاجتماعية .. إلخ. وبذا، يستطيع المعلم أو المعلمة أن يجعلان من الفصل، ومن المدرسة أيضاً، خلية نحل، يقوم العمل فيها على أساس الحب والتعاون، مما يقوى أواصر الصلة بين الأطفال بعضهم البعض، ومما يؤكد إنتماء الأطفال للمدرسة.

٤ – الإبتعاد عن الأساليب التقليدية لتعليم الطفل، والسماح للطفل بحرية الحركة، وخاصة أن الأطفال السويين لا يمكنهم الجلوس لمدد طويلة فى أماكنهم، كالتماثيل الصماء فى مواقعها. ولتحقيق هذا الأمر، يكون من المهم إستخدام وسائل التعليم المرئية والحركية، التى تبعث الحيوية وتبعد السأم عن نفوس الأطفال، وإصطحاب الأطفال لرحلات قصيرة خارج المدرسة، ودعوة أولياء أمور بعض الأطفال داخل الفصل، لمناقشة الأطفال فى بعض الموضوعات العلمية البسيطة، وأن يكون لدى كل من المعلم أو المعلمة القدرة على توظيف القصص فى تعميق بعض المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والعلمية .. إلخ.

٥ – التمكن من إستخدام الحاسب الآلى بكفاءة، كذا معرفة طرق تشغيل بعض البرامج بتمكن، يساعدان فى تعليم الطفل أساليب إستخدام الحاسب الآلى، وفى تقديم البرامج التعليمية والثقافية والترفيهية، التى تناسب الطفل، وفقاً لعمره الزمنى والعقلى .

٦ – عدم إلزام الطفل بأية إلتزامات خارجية (واجبات منزلية)، ومحاولة مساعدته للقيام بمتطلبات الدراسة داخل رياض الأطفال أو المدرسة، وبذا يتفرغ الطفل خارج رياض الاطفال أو المدرسة لاداء بعض المهام المفيدة له : إجتماعياً وثقافياً وترويحياً وإبتكارياً، ولقضاء وقت طيب وجميل مع أفراد أسرته أو أقرانه.

٧ – مساعدة الطفل فى ممارسة نشاطات إبداعية خلاقة، كتأليف بعض القصص، وكتابة بعض المقالات، وتنظيم بعض القصائد، وحل بعض الألغاز .

٨ – وأخيرا، وهذا هو المهم، تعزيز مفاهيم الإنتماء الدينى والقومى عند الطفل، وتدعيم ترسيخ وإكساب الطفل قيم الخير والحق والجمال والعدالة فى أعمق أعماق الطفل، وإنماء شخصيته فى جميع نواحيها.

تأسيساً على ماتقدم، يكون من المهم التنويه إلى أنه فى «إطار إحترام قدرات الطفل وتنمية قدراته النقدية والفلسفية قدمت «بروفيسير **ماري كلود دانيل** «أستاذة فلسفة التدريس للأطفال بجامعة مونتريال برنامجاً لتدريس الفلسفة والتفكير النقدى للأطفال منذ المرحلة الابتدائية، من خلال تدريس عمل روائى أو قصة للأطفال يعقبها نقاش حر ومسرحية يتولى الأطفال إعدادها بأنفسهم، ليفكروا بحرية ويعرفوا العالم من خلال الصور التى يرسمونها له بأنفسهم، ليتفهموا طبيعة الشر والبشر والمشاعر الإنسانية المتضادة .

وفى محاضرتها التى ألقتها فى مؤتمر (التعايش المشترك والتنمية)، الذى عقدته جامعة (مونتريال) مؤخراً استعرضت **دانيل** حصيلة الإجابات التى جمعتها من أطفال المدارس الأولية حول طبيعة الوجود بأسلوب يتناسب مع عقلية الطفل وإدراكه، وأكدت أن الأطفال قادرون على التفكير المركب، وإن مهاراتهم الجدلية تفوق الكبار، إذا ما أعطيت لهم الفرصة أن يتعلموا الكلمات، التى تعبر عن مشاعرهم وآرائهم ليدافعوا عنها فى ظل مناخ مناسب. فكل طفل يمكن أن يكون **ديكارت** جديد» .

ما سبق، يعطينا «بانوراما» واضحة المعالم بدرجة كبيرة، عن الأدوار المطلوبة من معلمة رياض الأطفال، أو من معلم المرحلة الإبتدائية، لذا يجب أن تكون الخطوة التالية مايوضحها الحديث التالى :

رابعاً : تصميم منظومة التفاعل الصفى للأطفال الموهوبين والمتأخرين دراسياً، فى ضوء متطلبات مجتمع المعرفة :

بادئ ذى بدء، يجدر الإشارة إلى أن تصميم منظومة التفاعل الصفى للأطفال الموهوبين والمتأخرين دراسياً، ينطلق من أهمية تكامل وشمولية مجتمع الأطفال وفقاً لتوزيع يتضمن المستويات الثلاثة : المرتفع والمتوسط والمتأخر، من الناحية الدراسية، لأن عزل الطفل الموهوب عن مجتمع الأطفال، قد يخلق منه إنساناً أنانياً ومتكبراً، لشعوره بالتميز عن الآخرين، كما أن عزل الطفل المتأخر دراسياً، قد يشعره بالدونية مقارنة بالآخرين. ناهيك عن أن المجتمع الأصلى الذى يتعامل معه الطفل خارج المدرسة، لايمكن تقسيمه أو تصنيفه إلى فئات وفقاً لمستويات أو معايير بعينها، إذ إن ذلك يعرض المجتمع إلى الإنهيار والتشتت والتشرذم. فالمجتمع ككل- أيا كان هذا المجتمع- يجب أن يعمل وفق آلية منظومية، بحيث لايمكن عزل أى فئة من فئاته عن بقية الفئات .

أيضاً تنطلق عملية تصميم منظومة التفاعل الصفى المنشودة من مسلمة أساسية، مفادها :

إن منظومة التعليم ليست بمعزل عن بقية المنظومات الأخري، وبالتالى فإن الحديث عن تصميم منظومة التعليم المنشودة يجب أن يتم فى إطار وسياق الإصلاح الشامل لواقع الجهاز الاجتماعى، الذى تتجلى أهم مظاهره في : الأمية، والفقر، والأمراض الصحية، والانفصال الأسري، والإدمان، وتشرد اليتامى، ... إلخ.

وقد ترتب على المظاهر السلبية السابقة، ظهور أنماط تفكير إجتماعى سلبية، تتمثل فى : الايمان بالخرافة والشعوذة، وعدم رعاية المرأة الرعاية الواجبة، والنظرة السطحية فى معالجة المشكلات، ووضع العلم فى مرتبة ثانية بعد المال ، ... إلخ.

وعليه فإن الإصلاح الشامل لواقع الجهاز الاجتماعي، يجب أن يقوم وفق بنية نظرية، يوضحها الشكل التالى :

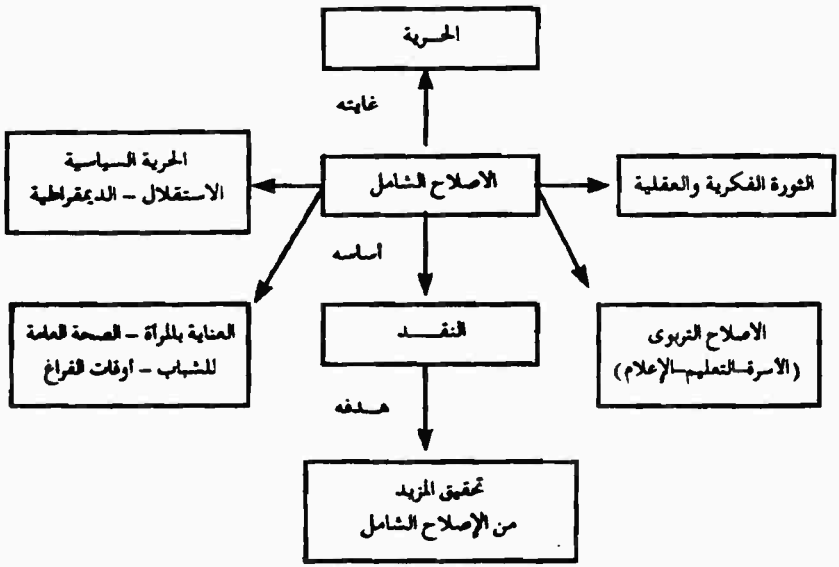

شكل رقم (١)

البنية النظرية للإصلاح الشامل

تأسيسًا على ماتقدم، لايمكن قبول تصميم منظومة التعليم النمطية التالية :

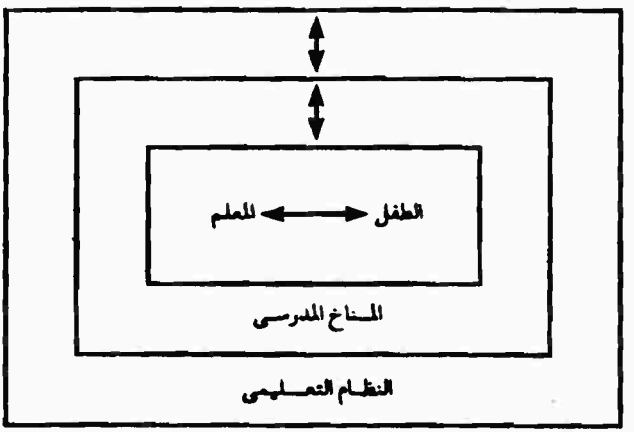

شكل رقم (٢)

منظومة التعليم النمطية

ففى مجتمع المعرفة، يجب أن تتداخل وتتكامل منظومة التعليم مع منظومتى الأسرة والإعلام، على النحو التالى :

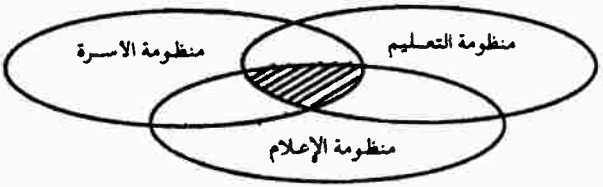

شكل رقم (٣) : التداخل بين منظومات التعليم والإعلام والأسرة

يمثل الجزء المظلل من شكل رقم (٣) منظومة التعليم للأطفال، حيث لاتقع مسئولية رعاية هؤلاء الأطفال على عاتق المدرسة فقط، لأنها مسئولية مشتركة بين الأسرة والإعلام والتعليم. فإذا حدث خلل فى مسئوليات إحدى هذه المنظومات الفرعية، يحدث خلل مناظر فى الأدوار المطلوب تحقيقها لبناء وتكوين الطفل فى مجتمع المعرفة.

وعليه، فإن تصميم منظومة التعليم، تتطلب وضع خطط مشتركة بين المسئولين فى التعليم والإعلام والأجهزة الإجتماعية (بما فى ذلك الأسرة بالطبع).

وإذا عدنا للخطوة الأولى فى تصميم منظومة التعليم فى شكل (٢)، وهى تختص بالتفاعل بين الطفل والمعلم، فإن هذه الخطوة يجب أن تمثل الأساس فى تكوين الجزء المظلل فى شكل رقم(٣)، لأن إفتقاد الموقف التعليمى للفاعلية، يعنى إهدار لجميع مخرجات هذا الموقف.

ولتوضيح ماتقدم، نقول أن المجتمع الدراسى للأطفال، الذى يقوم على أساس تفاعل الأطفال فيما بينهم، مهما كانت مستوياتهم التحصيلية- كما يظهر فى الشكل رقم (٤)لايمكن أن يتحقق دون وجود معلم كفء، يتميز بالسمات التالية :

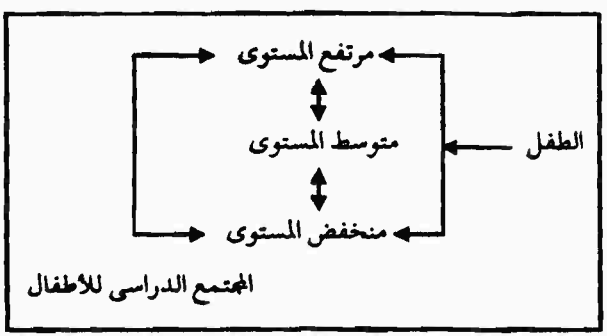

شكل (٤) : تفاعلات المجتمع الدراسى للأطفال

١ – روح الأمومة أو الأبوة الصادقة بحيث يجد الطفل فى المعلمة أو المعلم البديل الطبيعى والأكيد للأم أو الأب داخل دور الحضانة أو فى المدرسة الإبتدائية، فيشعر بالاطمئنان والأمان وعدم الخوف أو الرهبة، ويجد متعة حقيقية فى قضاء وقت طويل مع المعلمة أو المعلم والقرب منهما.

٢ – جدية المعلم أو المعلمة فى العمل، والإيمان بأن رسالتهما مهمة للغاية، وخاصة أن سنوات الدراسة الأولى، سواء أكانت فى رياض الأطفال، أم فى المدرسة الابتدائية تترك بصمة عميقة، تترك آثارها الواضحة بعد ذلك على الطفل ، خلال جميع مراحل الدراسة، بفرض أنه يكمل تعليمه للنهاية .

٣ – أن يكون لدى المعلم أو المعلمة القدرة على التواصل مع الأطفال، لتحقيق التفاعل المطلوب. ويتطلب ذلك أن يتصفا بـ : (١) الصبر، والمثابرة، (٢) معرفة أساليب تفكير الأطفال، (٣) الاهتمام بمطالب الأطفال وتلبية حاجاتهم، (٤) عدم إهمال إستفسارات الأطفال والرد عليها بإهتمام، (٥) معاملة جميع الأطفال على قدم المساواة، (٦) الاستعداد لتقديم يد العون والمساعدة إلى أقصى حد ممكن للأطفال بطيىء التعلم، (٧) القدرة على التعامل بذكاء مع الطفل الفائق.

٤ – القدرة على إشاعة البهجة والتفاؤل، وعلى رسم إبتسامة حلوة دائماً، مهما كانت قسوة الظروف التى يعيش فيها المعلم أو المعلمة، نظراً لحساسية ردود افعال الأطفال تجاه المعاملة الغليظة القاسية، وكذا ناحية علامات التبرم والضيق وعدم الارتياح، إذا ظهرت على وجه المعلم أو المعلمة .

٥ – الصدق والأمانة فى التعامل مع الأطفال، والنزاهة فى الفعل داخل الفصل وخارجه .

٦ – سلامة الناحية النفسية والاجتماعية للمعلم أو المعلمة، إذ عليهما تتوقف أساليب التعامل مع الأطفال، ومع بقية المعلمين والمعلمات .

ولتأكيد ماتقدم، نقول أنه يحدث فاقد فى التعليم إذا لم يتحقق التفاعل الصفى الإنسانى بين الأطفال فيما بينهم، بشرط أن يصاحب ذلك تفاعل من جانب المعلم لجميع أنماط الأطفال، بلااستثناء، كما يوضح ذلك الشكل التالى :

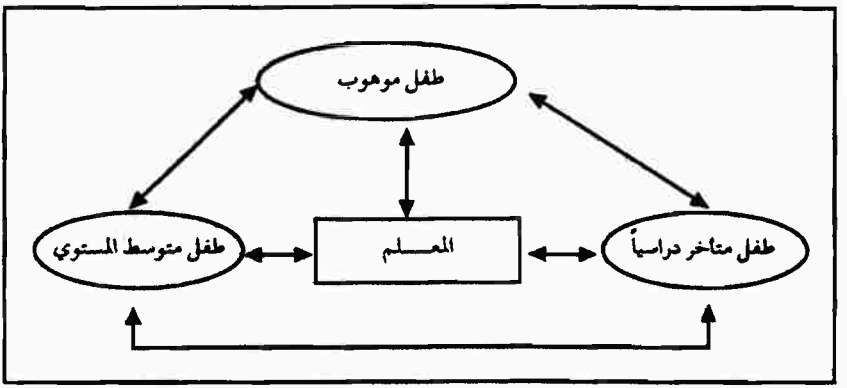

شكل (٥)

التفاعلات الإنسانية بين الطفل والمعلم

والحقيقة، لايقتصر تحقيق التفاعل الصفى على الجانب الإنسانى فقط، بل يجب أن يتضمن أيضًا الفاعلية فى فهم المادة الدراسية التعلمية، وذلك مايوضحه الشكل التالى :

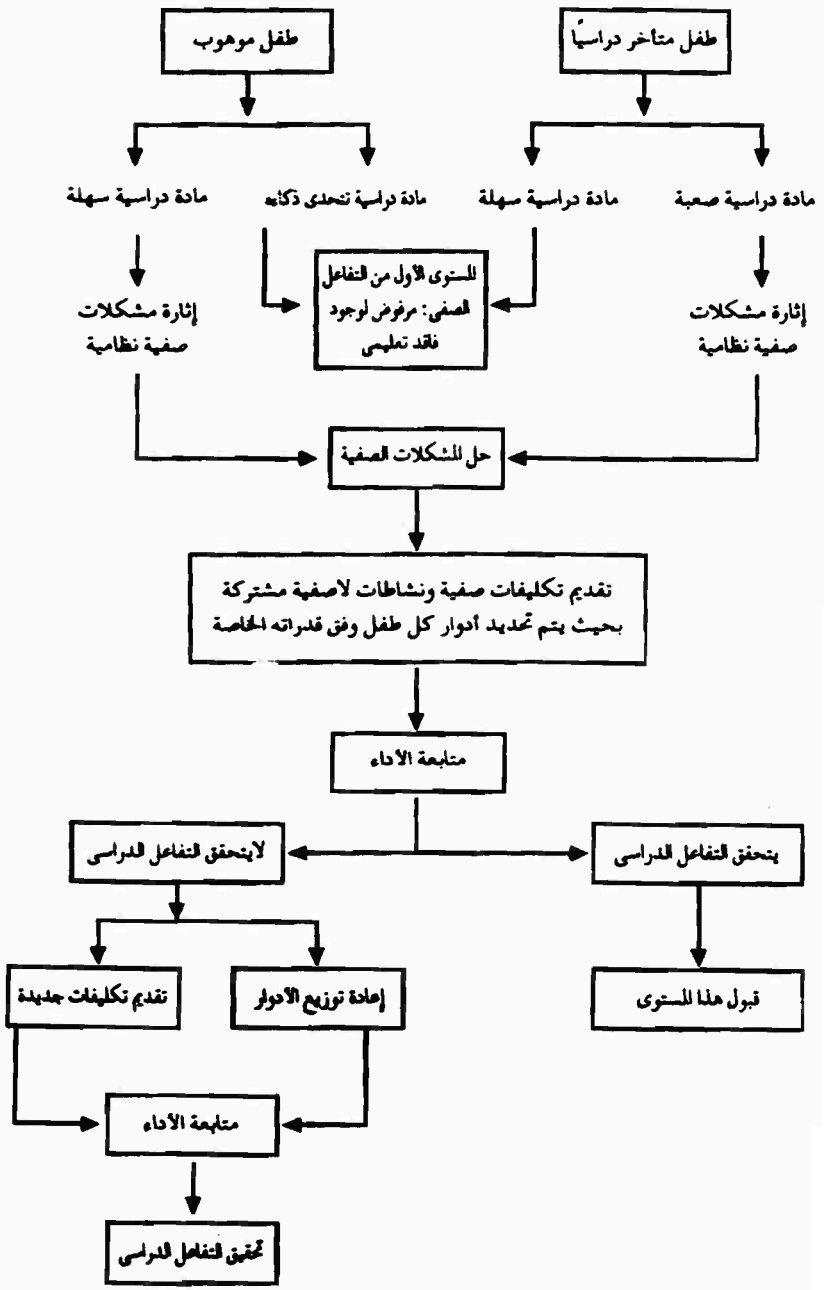

شكل رقم (٦) : التفاعلات التعليمية التعلمية بين المعلم والطفل

في ضوء ما جاء في شكل (٥)، وفي شكل (٦)، فإن منظومة التفاعل الصفي تتمثل في الجزء المظلل من الشكل (٧) التالي :

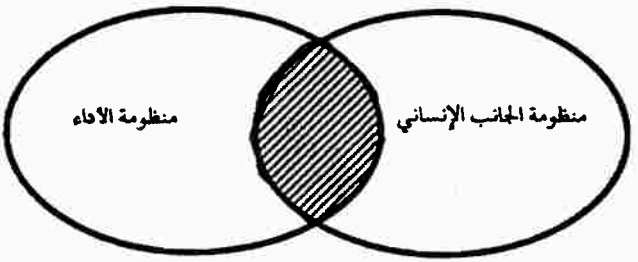

شكل (٧) : منظومة التفاعل الصفي

خاتمة :

- الطفل ثروة قومية، لذا يجب تسخير كل الجهود الرسمية والأهلية والأسرية من أجل نموه السوى .
- من غير المرغوب فيه، وضع حدود فارقة بين الأطفال، من خلال تسميات مختلفة، يتم على أساسها تصنيف الأطفال في مجموعات منعزلة (يستثنى من ذلك الأطفال الذين يعانون من التخلف العقلي الحاد) .
- رعاية الطفل الموهوب مسئولية قومية، ورعاية الطفل المتأخر دراسياً واجب إنساني، مع مراعاة إمكانية تحقيق تقارب في مستوى الأداء بينهما، بدرجة ما، تحت الشروط التي سبق تحديدها .
- دور المعلم حيوي وضروري في تحقيق التفاعل الصفي بين الأطفال بعضهم البعض من جهة، وبين مايتعلمونه من دروس صفية أو مايمارسونه من نشاطات لاصفية من جهة أخرى.

المراجع

(١) مجدي عزيز إبراهيم، مناهج تعليم ذوي الحاجات الخاصة في ضوء متطلباتهم الإنسانية والاجتماعية والنفسية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣ .

(٢) ــــــــــــ، تعليم وتعلم المفاهيم الرياضية للطفل من سن ٣ سنوات إلى سن ٦ سنوات، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١ .